عوامل تدهور النشاط التجاري في بلاد فارس خلال العصرين البويهي والسلجوقي (٣٢٢-٥٩٠هـ/ ٩٣٤-١١٩٤م): الكوارث الطبيعية أنموذجًا

إسماعيل محمد إسماعيل
باحث دكتوراة - تاريخ إسلامي
كلية الآداب - جامعة الفيوم – مصر

الملخص:

تسببت الكوارث الطبيعية – كالزلازل والجفاف وانتشار الأمراض – في بلاد فارس خلال فترة الدراسة في إحداث أزمات اقتصادية طاحنة؛ الأمر الذي أدى بدوره إلى تدهور أحوال التجارة. وكان من الطبيعي أن تتأثر التجارة كغيرها من جوانب الحركة الاقتصادية بما أصاب البلاد من أخطار وكوارث ومصائب ونكبات، حيث فقد الناس رؤوس أموالهم التي هي عصب التجارة نتيجةً لذلك.

وقد جاء البحث في توطئة وستة نقاط، وهي (الزلازل، العواصف والرياح العاتية، الفيضانات والسيول والأمطار، الجفاف، انتشار الحشرات، انتشار الأوبئة). وتضمن البحث خاتمة احتوت على بعض النتائج المهمة، منها على سبيل المثال: تأثر النشاط الزراعي والصناعي والثروة الحيوانية نتيجة بعض الكوارث الطبيعية؛ مما نتج عنه غلاء الأسعار، وانتشار ظاهرة اللصوصية، وغيرها، وأُختتم البحث بثبت للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: بلاد فارس، العصر البويهي، العصر السلجوقي، النشاط التجاري، الكوارث الطبيعية، الزلازل، الجفاف.

Factors for the deterioration of commercial activity in Persia during the Buyid and Seljuk eras (322-590 AH / 934-1194 AD): Natural disasters as an example.

Natural disasters such as earthquakes, drought, and the spread of diseases in Persia during the study period caused severe economic crises, which in turn led to deterioration in trade conditions.

It was natural for trade, like other aspects of economic activity, to be affected by the dangers, disasters, and catastrophes that befell the country, as people lost their capital, which is the backbone of trade, as a result.

The research came in a preface and six points, which are earthquakes, storms and strong winds, floods, torrents and rain, drought, the spread of insects, and the spread of epidemics.

The research included a conclusion that contained some important results, including, for example, agricultural and industrial activity and livestock were affected as a result of some natural disasters, which resulted in high prices, the spread of the phenomenon of banditry, and others, and the research concluded with a list of sources and references.

Keywords: Persia, Buyids, Seljuks, commercial activity, natural disasters, earthquakes, drought.

مقدمة

تعرضت بلاد فارس خلال الفترة موضوع البحث لمجموعة من العوامل التي ساعدت في تدهور النشاط التجاري مثل الفتن السياسية، والأخطار والكوارث الطبيعية المتنوعة، والأزمات الاقتصادية. وقد تركت هذه الأخطار والعوامل آثارًا ونتائج سيئة في مختلف نواحي الحياة، خاصةً الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعسكرية.

وكان من الطبيعي أن يتخذ أهل هذه البلاد حكامًا ومحكومين بعض الإجراءات لمواجهة هذه الأخطار والعوامل، وما نتج عنها من آثار، وإن كان الجهد المبذول في هذا المضمار لم يتناسب مع حجم هذه الكوارث؛ مما أدَّى إلى ازدياد الخسائر الناجمة عنها.

وتأسيسًا على ما سبق، فإنه تم تقسيم البحث إلى عدة نقاط وهي:

١. الزلازل.

٢. العواصف والرياح العاتية.

٣. الفيضانات والسيول والامطار.

٤. الجفاف.

٥. انتشار الحشرات.

٦. انتشار الأوبئة.

أهمية الدراسة:

وتأتي أهمية دراسة عوامل تدهور التجارة في بلاد فارس إبان العصرين البويهي والسلجوقي بوصفها من الموضوعات ذات الطابع الخاص، حيث لعبت تلك الكوارث دورًا مهمًا داخل المجتمعين، وأثرت على المستويات كافة، فقد أطفت الكوارث على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكان لها دور مؤثر، حيث تعددت أنواعها واختلف زمان حدوثها. فعرضنا للعصرين البويهي والسلجوقي من حيث التاريخ السياسي والمذهبي، ورصدنا داخل الدراسة الكوارث الطبيعية من حيث أنوعها وقوة تأثيرها.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التاريخي، وذلك بجمع المادة العلمية من المصادر، ثم تصنيفها إلى موضوعات متجانسة، وتحليلها ونقدها، من أجل الوصول إلى النتائج الصحيحة.

الكوارث الطبيعية:

تعرضت بلاد فارس[١] في الفترة موضوع البحث إلى مجموعة من الأخطار والكوارث الطبيعية المتنوعة **منها:**

١. الزلازل:

توالت على بلاد فارس من العالم الإسلامي كثير من الزلازل والهزات الأرضية التي خلفت وراءها آثارًا مدمرة، وخسائر فادحة، ففي سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م زُلزِلتْ فرغانة[٢] زلزلة شديدة، خلفت خسائر بشرية ومعمارية كثيرة[٣]، وفي سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م حدثت زلزلة عنيفة في بلاد خراسان، كذلك تعرضت هذه البلاد وبلاد ما وراء النهر سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م لمجموعة من الزلازل المدمرة استمرت سبعين يومًا، كان معظمها ببلخ[٤] والجوزجان[٥] والفارياب[٦] والطالقان[٧].

---

(١) وأمّا فارس، فالّذي يحيط بها ممّا يلي الشرق، حدود كرمان، وممّا يلي الغرب كور خوزستان وأصبهان، وممّا يلي الشمال المفازة الّتي بين فارس وخراسان، وبعض حدود أصبهان، وممّا يلى الجنوب بحر فارس، الأصطخري: أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م): مسالك الممالك، تحقيق/ محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، سلسلة الذخائر العدد ١١٩، ٢٠٠٤م، ص ٩٦.

(٢) مدينة في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد تُرْكستان، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخًا. ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٣) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٤) من أشهر مدن خراسان وأكثرها خيرًا. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص٤٧٩– ٤٨٠.

(٥) تنطق أيضا جوزجانان، وهي كورة واسعة من بلاد خراسان تقع بين مرو الروذ وبلخ. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٢.

(٦) مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي نهر جيحون. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٩.

(٧) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج

وفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م، حدثت زلزلة شديدة بالري[١]، ظلت تتردد أربعين يومًا، وتركت خرابًا كبيرًا[٢]، وفي العام التالي اتسعت دائرة الزلازل، فضربت بلادًا عدة في إقليم فارس، وأحدثت دمارًا هائلًا، يقول ابن الجوزي في أحداث سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م: "كانت بقومس[٣] ورساتيقها[٤] زلازل، فهدمت منها الدور..... وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، ودمر نحو من ثلثي بسطام، وزلزلت الري، وفارس، وجرجان[٥]، ونيسابور[٦]، وأصبهان[٧]،

٥، ص٤٥١؛ ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٥.

وأما الطالقان فهناك بلدان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، خرج منها جماعة من الفضلاء، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر، وبها عدة قرى، يقع عليها هذا الاسم، وإليها ينسب الصاحب ابن عباد. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٦– ٧.

(١) وهي مدينة مشهورة من أمّهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاجّ على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخًا، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخًا، ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخًا، ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخًا، اليعقوبي: البلدان، ٨٩/١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص١٢٤– ١٢٥.

(٣) قومس: بلد واسع جليل القدر، واسم المدينة الدامغان، وهي أول مدن خراسان، اليعقوبي (أحمد بن يحيى ابن يعقوب، ت: بعد ٢٩٢هـ): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٩٠/١.

(٤) الرساتيق جمع رستاق، وهي كلمة فارسية تعني كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد، وهو أخص من الكورة. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٧– ٣٨.

(٥) ومدينة جرجان على نهر الديلم. افتتح بلد جرجان سعيد بن عثمان في ولاية معاوية، ثم انغلقت، وارتدّ أهلها عن الإسلام، حتى افتتحها يزيد بن المهلّب في ولاية سليمان بن عبد الملك بن مروان، وخراج البلد عشرة آلاف ألف درهم، وفيه يعمل جيد الخشب من الخلنج، اليعقوبي: البلدان، ٩٢/١.

(٦) ونيسابور بلد واسع كثير الكور، فمن كور نيسابور: الطبسين، وقوهستان، ونسا، افتتح البلد عبد الله ابن عامر بن كريز في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، وشربها من العيون والأودية، وخراجها يبلغ أربعة آلاف ألف درهم، اليعقوبي: البلدان، ٩٥/١.

(٧) مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أوّلا جيّا، ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع، طولها ست وثمانون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة تحت اثنتى عشرة درجة من السرطان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٠٦/١.

وقُمّ[١] وقاشان[٢]، وذلك كله في وقتٍ واحد، وسقطت جبال، ودنا بعضها من بعض، ونبع الماء مكان الجبال، ورجفت أستراباذ[٣]، وأصيب الناس كلهم"[٤]، وخُسِف بعدة قرى في خراسان[٥].

وفي سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م، دمرت الزلازل مدينة تِبريز[٦]، وقتلت كثيرًا من أهلها[٧]، وفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م، أصاب أهل الري زلزلة شديدة ورجفة، خلفت خسائر فادحة في المباني والأنفس[٨]، كما أُصِيبتْ الصَّيْمَرة[١] بزلازل عنيفة، وهُدمت أكثر مبانيها سنة

---

(١) مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، تم تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م على يد طلحة بن الأحوص الأشعري، وهي بين أصبهان وساوة، وأهلها شيعة إمامية، معجم البلدان، ج ٤، ص٣٩٧.

(٢) مدينة بالقرب من أصبهان، وبينها وبين قم اثنا عشر فرسخًا، وأهلها شيعة إمامية، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٦– ٢٩٧.

(٣) بلدة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان، يُنسب إليها جماعة من أهل العلم، معجم البلدان، البلدان، ج ١، ص ١٧٤–١٧٥.

(٤) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م، ج١١، ص ٢٩٤–٢٩٥، وانظر: الطبري (محمد بن جرير، ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص٣٢٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٢٦؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٤٣؛ الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ١٢، ص ٣٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣٠٧؛ الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة ابن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٤٦. وفيه أن هذا حدث سنة ٢٤١هـ.

(٥) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، ص٤٩١.

(٦) من أشهر مدن أذربيجان، وإليها يُنسب جماعة من أهل العلم. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١٣.

(٧) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة/ بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العلمي العراقي، بدون تاريخ، ص ١٩٦.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٥٥.

٢٥٨هـ/٨٧١م، سقطت منها المنازل، وقتلت كثيرًا منه أهلها[٢]، وفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، وخلفت وراءها كثيرًا من الخسائر[٣]، "وفي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، ساخ جبل بالدينور[٤] في الأرض، وخرج من تحته ماءً كثيرًا، غرّق القرى"[٥].

وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، زُلزِلتْ هراة[٦]، وتهدمت دورها[٧]، وفي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، ضربت الزلازل بلاد الجبال وقم ونواحيها، وتتابعت أربعين يومًا، تسكن ثم تعود[٨]، كما زُلزِلت الطالقان والري ونواحيهما، وخُسف بكثير من قراهما، وقد أحدثت هذه الزلازل خرابًا كبيرًا ودمارًا هائلًا في هذه المناطق[٩]، وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، ضربت الزلازل بلاد الجبل وقم وقاشان، فخربت الأبنية، وقُتلت الخلق[١٠].

---

(١) بلد بين ديار الجبل وخوزستان على يسار القاصد من همذان إلى بغداد. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٩.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، حوادث ووفيات ٢٥١–٢٦٠هـ، ص ٢٨؛ الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء، ص١٤٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٧٢؛ الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ١٤٧–١٤٨؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٤٧.

(٤) مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْميسين، ينسب إليها كثير من أهل العلم، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٥٤٥.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٨٠.

(٦) من أمهات مدن خراسان مليئة بالخيرات، ينسب إليها كثير من أهل العلم، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦– ٣٩٧.

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص٨٠.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٢٥٩.

(٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٣٨٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٥٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣١٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٣٧١.

(١٠) مسكويه (أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، حوادث سنة ٣٢٩–٣٦٩هـ ج٢ ص ١٦٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٣٨٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٣١٩.

وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، زُلزِلت سِيراف[١] زلزلة عظيمة استمرت سبعة أيام، وأحدثت بها خسائر كثيرة،"جعلتها آية لمنْ تأملها، وعبرة لمنْ اتعظ بها"[٢]، كما ضربت الزلازل مدينة الدينور سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وخلَّفتْ خسائر اقتصادية ومعمارية وبشرية هائلة[٣]، وفي السنة نفسها، أصابت كُلًّا من سيراف والسيف[٤] رجفة شديدة، تركت خسائر في الأرواح ووسائل النقل والمواصلات البحرية[٥].

ومن أكثر الزلازل دمارًا وأسوأها أثرًا في مختلف مناحي الحياة . كما سيبين البحث في موضعه، تلك الزلازل التي ضربت مدينة تبريز سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م، ونظرًا لعظم المصيبة "لبس الخواص والعوام السواد حدادًا على ما أصابهم"[٦].

وفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، دمرت الزلازل بلادًا عدة في فارس وخراسان، وخلفت خسائر معمارية وبشرية كبيرة، خاصةً في أَرَّجان[٧] وإيْذَج[١]، وبيهق[٢].

---

(١) مدينة جليلة على ساحل بحر فارس بينها وبين شيراز ستين فرسخًا، كانت قديمًا فرضة الهند، وقيل كانت قصبة كورة أردشير خُرّة من أعمال فارس، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٩٤– ٢٩٥.

(٢) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٨٤–٢٨٥؛ تحقيق/ غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٨٧.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص٥٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٧٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢١٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص١٥٠.

(٤) يطلق هذا الاسم على ثلاثة مواضع على ساحل بحر فارس الأول سيف بني زهير، والثاني سيف بني الصفار، والثالث سيف آل المظفر بالقرب من سيراف مما يلي البصرة. ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٨، ج ٥، ص ٢٧٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، الحوادث من سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م إلى آخر الكتاب، ص ٢٣٨.

(٦) ناصر خسرو: سفرنامه، تحقيق/ يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٨؛ ٣٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص١١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص٢٦٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٩١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص٣٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص٢٥٣– ٢٥٤.

(٧) مدينة كبيرة كثيرة الخيرات تتوسط المسافة بين شيراز وسوق الأهواز على بعد ستين فرسخًا عن كُلٍّ منهما. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٤٢– ١٤٣.

وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ضربت بلاد خوزستان وفارس زلزلة شديدة، كان أشدها ضررًا بأَرَّجان، وخلفت خسائر كثيرة بشرية واقتصادية[٣]، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، زُلزِلت همذان وما جاورها من أرض الجبل، فرجفت بهم الأرض سبعة أيام، فتركت خسائر معمارية وبشرية فادحة، وشردت كثيرًا من السكان[٤].

٢. العواصف والرياح العاتية:

تعد العواصف والرياح العاتية من الأخطار والكوارث الطبيعية المناخية التي تُلحق أضرارًا كبيرة بالمناطق التي تعصف بها، وقد تعرض إقليم فارس والمدن المجاورة له لهبوب عواصف ورياح، ألحقت بها كثيرًا من الخسائر البشرية والاقتصادية. ففي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، أصاب أهل همذان وما حولها ريحٌ سَموم لم يُعهد مثلها من قبل، استمرت نيفًا وخمسين يومًا، تركت خسائر بشرية واقتصادية فادحة[٥]، وفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م خرجت ريح باردة من بلاد الترك، فمرت بمرو[٦]، وسَرْخَس[٧]، ونيسابور، والري، وهمذان، وخلفت وراءها كثيرًا من الموتى[٨]. كما هبَّت ريح سوداء سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م على شيراز،

---

(١) كورة من أجلِّ كور مدن فارس كثيرة الخيرات، تقع بين خوزستان وأصبهان. معجم البلدان، ج ١، ص٢٨٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص٣١٠؛ وانظر ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص١٥٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص٥٣. وأما بيهق فهي ناحية كبيرة، وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، بينهما ستين فرسخًا، ويُنسب إليها كثيرًا من الفضلاء وأهل العلم. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٧– ٥٣٨.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ،٩ ص ١٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص٤٤١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٣٨.

(٥) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٥–١٤٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص٢٧٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص٨٠.

(٦) مرو وهي أجلّ كور خراسان، افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي، وهو من قبل عبد الله بن عامر في خلافة عثمان، اليعقوبي: البلدان، ٩٨/١.

(٧) مدينة قديمة من مدن خراسان، تقع على منتصف الطريق بين نيسابور ومرو، على بعد ست مراحل عن كل منهما. ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٨.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١، ص٢٧٠؛ الأصبهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٦. وفيه أن ذلك كان سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص٩٢.

أسفرت عن خسائر معمارية واقتصادية كثيرة[١]، وأغرقت كثيرًا من المراكب في بحر فارس[٢]، كذلك هبت ريح قوية في هذا البحر سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، أغرقت كثيرًا من السفن، السفن، وأهلكت كثيرًا من البشر[٣]، وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م، عصفت الرياح بقرية باغ[٤]، باغ[٤]، فأتلفت كثيرًا من الحبوب، واقتلعت الأشجار[٥]، كما كان هيجان الرياح والبحر كثيرًا كثيرًا ما يضر بالسفن؛ مما دفع قادتها إلى الرسو بسفنهم في بعض الأماكن الأقل خطرًا[٦].

٣. الفيضانات والسيول والأمطار:

تحدث الفيضانات عندما تتجاوز كميات المياه الواردة للنهر من مصادر مختلفة قدرته وقدرة روافده على استيعابها[٧]، وأما السيول فهي في واقع الأمر نوع من الفيضانات الخاطفة الخاطفة المدمرة التي تحدث نتيجة لهطول مطر شديد فوق منطقة محدودة المساحة نسبيًا بشكلٍ فجائي قصير المدى[٨].

وقد تعرض إقليم فارس لكثير من الفيضانات والسيول المدمرة، خاصةً في المناطق التي تهطل عليها الأمطار بغزارة، وتكثر فيها الثلوج وتتراكم، مثل همذان التي قال عنها المقدسي[٩] معدن الرعد والبرد والثلج"[١]، والري التي وصفها بأنها: "كثيرة الجليد والثلج"[٢]،

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١، ص ٢٣٨.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٧٦.

(٣)ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٨٦.

(٤) قرية بينها وبين مرو فرسخان. ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٥.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص٢٧٣.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٢٩.

(٧) محسوب (محمد صبري)، أرباب (محمد إبراهيم): الأخطار والكوارث الطبيعية: معالجة جغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ١٠٢. والفيضانات إما موسمية، يمكن توقع حدوثها في فترة معينة من السنة مع قدوم كميات ضخمة من المياه في تلك الفترة المعروفة، سواء بسبب مياه أمطار أو ثلوج ذائبة تتجاوز طاقة النهر، وإما مفاجئة أو طارئة لا قاعدة لها، ولا يمكن توقعها، وقد تكون نتيجة حدوث إعاقة في مجرى النهر بسبب تراكم رواسب وصخور تعمل على رفع منسوب المياه في النهر، أو تكون ناتجة عن تصدع وانهيار السدود. محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية، ص ١٠٣.

(٨) محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية، ص ١٠٢.

(٩) انظر المقدسي: ص٤٠٩؛ الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٩–١٥٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٤٣٤– ٤٣٥؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٨٦.

والثلج"[٢]، وإقليم الجبال: "وهو إقليم بارد كثير الثلوج والجليد"[٣]، وإقليم الرحاب[٤]، "وهو إقليم بارد كثير الثلوج والأمطار"[٥]، وبلخ التي وصفها ابن حوقل بقوله: "يقع بها وفي نواحيها الثلوج العظيمة، وهي من أكابر بلاد الصَّرود[٦]، ويجمد بها الماء"[٧]، وغيرها من البلاد.

وقد ألحقت هذه السيول وتلك الفيضانات خسائر فادحة في شتى مناحي الحياة في تلك البلاد، ففي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م، تعرضت جُبَّى[٨] لسيل وادٍ من أوديتها الجبلية، أحدث بها دمارًا هائلًا، وخسائر في الأرواح والمواشي والغلال، وتهدم كثير من منازلها، وغرقت كثير من قراها[٩].

وفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، تعرضت مدينة أصفهان لسيل أحد أوديتها المسمى وادي زرين رود، فعطل هذا السيل مظاهر الحياة في تلك المدينة، وأصابها بشللٍ تام حتى خشى الناس على أنفسهم، يقول الأصفهاني[١٠]: "وفي سنة عشر وثلاثمائة، مدَّ وادي زرين رود مدًا تجاوز فيه الحد، وخرج عن العادة، فطما الماء حتى ركب ظهور القناطر، ومنع الناس العبور عليها، فكان تشد الكتب على السهام، ويُرمى بها من باب المدينة إلى ناحية ورزقا باد[١١]، حتى خشى أهل المدينة على أنفسهم. وقد كان الماء قد ركب جانب السور، ونقب

---

(١) أحسن التقاسيم، ص٢٦٥.

(٢) أحسن التقاسيم، ص٢٦٢.

(٣) أحسن التقاسيم، ص٢٦٦.

(٤) ناحية بأذربيجان ودَرْبَنْد، وأكثر أرمينية يشتملها هذا الاسم. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٣١.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٥٧.

(٦) جمع الصَّرْد أو الصَّرَد، وهو البرد الشديد. ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ج٣، ص ٢٤٨-٢٤٩ (مادة: ص ر د، ط١، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٧) صورة الأرض، ص٣٧٦.

(٨) كورة من أعمال خوزستان. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٩٧.

(٩) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٦٥٥.

(١٠) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص١٤٨.

(١١) لم أعثر على تعريف بها في المعاجم الجغرافية المتاحة، ولكن سياق الكلام يقتضي أن تكون إحدى النواحي القريبة من أصبهان.

ناحية منه". وفي سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، اجتاح مدينة الأنبار[١] ونواحيها سيل مدمر، أسقط مبانيها، وأغرق الناس والبهائم والسباع[٢].

وعادت السيول الناتجة عن الأمطار الغزيرة تضرب أصفهان سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، فأحدثت بها كثيرًا من الأضرار، وقطعت على الناس الطرق لامتلائها بالمياه، وسالت الميازيب[٣]، ومد الوادي، وفاض بماء مختلط بالطين منتن، لم يُعهد مثله في الحمرة والكدرة، والكدرة، وبقي الوادي على حال الزيادة والكدرة أربعة عشر يومًا[٤]. وفي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م: ٣٧٨هـ/٩٨٨م: "تتابعت الأمطار وكثرت البروق والرعود والبرد، وسالت الأودية، وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخربت المساكن، وامتلأت الأقناء طينًا وحجارة، وانقطعت الطرق"[٥].

ومن الأودية التي كانت كثيرًا ما تفيض، ويُحدث فيضانها أضرارًا كثيرة في وادي الصُّغْد[٦] بسمرقند[٧]، حيث كان هذا الوادي تمده مياه الثلوج الذائبة صيفًا في جبال البُتَّم[٨] البُتَّم[٨] وأُشْرُوسَنَة[٩]، وسمرقند، ونظرًا لغزارة تدفق هذه المياه، كان فيضان هذا الوادي يُحدث

---

(١) مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جوزجان على جبل بالقرب من مرو الروذ، وهي أكبر منها. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص٣١٠.

(٣) وزب الشيء يَزِب وُزُبًا إذا سال. قال الجوهري: الميزاب هو المِثْعَب فارسي مُعَرَّب، والجمع ميازيب. ابن ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٧٩٦ (مادة وزب).

(٤) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٥٠-١٥١.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٦) إقليم واسع، وكورة كبيرة، قصبتها مدينة سمرقند. ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٧) مدينة مشهورة، وهي قصبة إقليم الصغد (كما هو مذكور أعلاه)، وهي مبنية على جنوبي وادي الصغد، الصغد، مرتفعة عليه. معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٦، ٢٥٠.

(٨) البُتَّم، جبال يقال لها البتم الأول، والبتم الأوسط، والبتم الداخل، ومياه بخاري وسمرقند وجميع الصُّغْد من من البتم الأوسط. معجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٦.

(٩) بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند، وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخًا. معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٧.

يُحدث بثوقًا[١] كثيرة فيه، "وربما زاد الماء حتى يقلب السَّكر[٢] لقنطرة جيرد[٣]، فيُحيَّرَ أهل سمرقند في سدِّ ذلك لكثرته وغزارته"[٤].

وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، فاض بحر فارس: "والأنهار، وتفجرت ميازيب السماء، واجتاحت المياه كثيرًا من القرى"[٥]، وفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٩٢م، ورد سيل شديد ليلًا ونهارًا، اجتاح كثيرًا من المدن والقرى في بلاد فارس وإقليم الجبال، "فوقف الماء في الدروب وسقطت منه الحيطان، واتصل المطر، وقد ورد مطر ثمانين يومًا متوالية، ما طلعت فيه شمس"[٦].

كذلك كان **توالي الأمطار** كثيرًا ما يسبب أضرارًا كثيرة لسكان هذه البلاد، يقول ابن حوقل"[٧]. "لا تخلو بلاد فارس شتاءهم وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المؤذية المضجرة القاطعة للغريب عن الأشغال والمهمات من الأعمال"[٨]، ويقول: "طبرستان "طبرستان بلد كثير المياه ... وهو إقليم كثير الأمطار، وربما اتصل المطر سنة جرداء، فلا يرون فيها الشمس".

٤. موجات البرد والحر:

كذلك عانت هذه البلاد من موجات البرد وموجات الحر التي كانت تصيب بعضها، وتسبب أضرارًا كثيرة، يقول المقدسي: "اعلم أن بفارس صرودًا[٩]، لا تثمر فيها الأشجار من

---

(١) البَثْق: كسْرُك شط النهر لتشق الماء. وقال ابن سيدة: بَثَق شِقَّ النهر يَبْثُقه بَثْقًا أي كسره لينبعث ماؤه، واسم ذلك الموضع البَثْق والبِثْق، وقيل: هما مُنْبَعث الماء، وجمعه بُثوق. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٢ (مادة بثق).

(٢) سَكَرَ النهر يَسْكُره سَكْرًا سَدَّ فاه، وكل شق سُدَّ فقد سُكِر. والسِّكْرُ ما سُدَّ به. والسَّكْرُ سَدُّ الشق ومُنْفَجَر الماء. والسِّكْرُ اسم ذلك السِّداد الذي يُجعَل سدًّا للشق ونحوه. معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٥ (مادة سكر).

(٣) قنطرة من الحجارة مبنية على هذا الوادي. كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥١٠–٥١١.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٠٩–٤١٠.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٨٦.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٢٥.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٢٤.

(٩) الصرود هي البلاد شديدة البرد، وهي خلاف الجروم، أي البلاد الحارة. ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ج٣، ص٢٤٨ (مادة صرد).

شدة البرد، ولا ينعش فيها الزرع"[١]، ويقول ابن حوقل عن صرود بلاد فارس: "وأما الصرود ففيها أماكن، تبلغ من شدة البرد ألا يثبت عندهم شيء من الفواكه والبقول"[٢]. ومن مظاهر ذلك ما حدث سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م، حيث: "كانت الغلات بأصبهان سابقت الحصاد، فأصابها صِرٌّ[٣] ذهب بها كلها، فحصدت خاوية لا حبَّ فيها"[٤].

ولم تكن أضرار موجات البرد مقصورة على النباتات والأشجار فحسب، بل كثيرًا ما كانت تصيب الإنسان ببعض الأمراض القاتلة، مثلما حدث سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م، حين توالت على أهل سرخس ونيسابور وهمذان والري موجة برد أصابتهم بزكام شديد، وقتلت كثيرًا منهم[٥].

أما **موجات الحر**؛ فقد كانت تتوالى على بعض بلاد فارس، وتترك أثارًا سيئة على البشر والحيوان والطير، يقول ابن حوقل عن هذه البلاد: "وأما الجروم (أي البلاد الحارة)، فإن بها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف، ألَّا يثبت عندهم شيء من الطير لشدة الحر"[٦]، وكان أهل زَرَنْج[٧] يعانون من شدة حر هذه المدينة، ويتقون ذلك في القيظ بحفر سراديب يعيشون فيها[٨].

٥. الجفاف:

إذا كان إقليم فارس قد تعرض لأخطار السيول والفيضانات، وتدفق الأمطار وغزارتها، وتساقط الثلوج وتراكمها؛ فإنها تعرضت أيضًا لموجات من الجفاف[٩]، تركت آثارًا سيئة في

---

(١) أحسن التقاسيم: ص٢٨٧.

(٢) صورة الأرض، ص٢٦٣.

(٣) الصِّر شدة البرد. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٤٥٠ (مادة صرر).

(٤) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص١٢٥.

(٦) صورة الأرض، ص ٢٦٤.

(٧) مدينة زَرَنْج هي قصبة كورة سجستان. ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٣٨.

(٨) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية.

(٩) هناك تعريفات عدة للجفاف، التعريف الأول: يعني حدوث انخفاض في فعالية المطر، وليس في كميته، كميته، والتعريف الثاني: يرتبط بمدى إمكانية كفاية المياه المتاحة لعمليات الري ومتطلبات المدن، وغيرها من الاستخدامات، ففي حالة عدم كفاية المياه لمثل هذه المتطلبات يعني هذا حدوث جفاف بالمنطقة، أما التعريف الثالث: فهو التعريف الزراعي، ويعني نقص في المياه التي تحتاجها المحاصيل خاصة، تلك المياه المرتبطة بالمطر في المناطق التي تسودها نظم الزراعة المطرية، والتعريف الرابع:

مختلف مناحي الحياة، ففي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، وقع بخراسان قحط شديد، وشكا الناس قسوة الجوع[١]، كما أصابها القحط مرة أخرى سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م[٢].

وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م، غارت المياه بالري وطبرستان حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار، وأكل الناس بعضهم بعضًا[٣]، كما غارت المياه ببلاد الجبال وقم ونواحيها سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م[٤]، وكذلك أصاب نيسابور ونواحيها قحط شديد سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، أهلك كثيرًا من الآدميين، وأكل الناس الجيف ولحوم بعضهم بعضًا من شدة الجوع[٥].

وفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، تعرضت قزوين ونواحيها لقحطٍ شديد، فعز الخبز، وغلت أسعاره[٦]، كما تعرضت سمرقند قبل سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ببضعة أعوام لقحطٍ شديد، عانى منه أهلها كثيرًا[٧]، وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، عم القحط بلاد خراسان وغيرها من بلاد الإسلام، وعزت الألبان واللحوم[٨].

٧. انتشار الحشرات:

يعد انتشار الجراد والقوارض والحشرات من أشد الأخطار التي تسبب خسائر فادحة، خاصةً في الناحية الاقتصادية، كما سيبين البحث في موضعه.

فبالنسبة **للجراد**، فإن خطورته تكمن في كونه آفة خطيرة، تتميز بخصائص غير عادية، تزيد من خطورتها، ومن حجم الخسائر الناتجة عنها، من أهمها قدرته على الطيران

تعريف اجتماعي اقتصادي، ويعني إبراز مدى تأثير نقص المياه على المجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية. محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية، ص ١١١-١١٢.

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٥٢؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ١٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٤٠٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١، ص ٢٧٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٩٢.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦٠٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٤٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٣٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٤٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٨٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٢٥٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ١٧٧.

(٦) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٣٦.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤٦٩.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص ١٥.

لمسافات بعيدة في أسراب ضخمة، مع سرعة انتقاله وتحركه من مكانٍ إلى آخر[١]، هذا بالإضافة إلى شراهته في الأكل، وقدرته على التفريق بين النباتات السامة والنباتات الصالحة للأكل، كما يتميز بسرعة تكاثره في ظروف طبيعية متباينة[٢]، وتعد مناطق غرب الهند وإيران وخراسان من المناطق التي يتكاثر فيها الجراد في فصلي الربيع والصيف[٣].

فمن أوضح الأمثلة على أسراب الجراد التي هاجمت هذه البلاد، ما كان سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، حيث هاجم الجراد قم والجبال، "وطبق الدنيا، وأتى على جميع الغلات والأشجار"[٤]، وفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، ظهر جراد كثيف في شيراز، اجتاح الأخضر واليابس، وأعقبه غلاء شديد[٥].

وأما بالنسبة للقوارض والحشرات التي تتسبب في نقل الأمراض وإتلاف الغلات، فلم تنج هذه البلاد منها ومن أضرارها، ففي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م: "ظهر في كورتي سرخس ومرو من **الفأر** ما لم يحط به الإحصاء، ولا أطاق الناس لدفعها حيلة، وبلغ من مضرتها أنها أتت على غلات تلك السنة في الكورتين معًا"[٦]. وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م: "كثر **القمل** برستاق التَّيْمُرَة الكبرى[٧]، حتى يئس الناس من غلات سنيهم، وهموا بالجلاء"[٨].

٨. المجاعات:

ونتيجة لموجات القحط وأخطار الجراد والقوارض والحشرات السابق ذكرها، عصفت ببلدان الخلافة الشرقية كارثة أخرى هي المجاعات، ففي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، أصاب الناس

---

(١) قد يصل عدد أفراد السرب الواحد إلى أكثر من ألف مليون حشرة، تغطي في المتوسط سحابة من الجراد تبلغ مساحتها عشرين كيلو مترًا مربعًا ، وقد تصل مسافة طيران السرب الواحد إلى أكثر من مائتين وعشرين كيلو مترًا بدون توقف. محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث، ص ١٨٩.

(٢) محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث، ص ١٨٨.

(٣) محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث، ص ١٩٠-١٩١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣١٩.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٧٥.

(٦) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٥.

(٧) التَّيْمُرَة من قرى أصبهان، وهي قريتان التيمرة الصغرى، والتيمرة الكبرى. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧.

(٨) الأصبهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٩.

بخراسان مجاعة شديدة[١]، وعادت المجاعات لتصيب العديد من المدن سنة ٢٠١هـ/٨١٦م حيث: "أصاب أهل خراسان والري وأصبهان مجاعة، وعز الطعام"[٢]، وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م، أكل الناس بعضهم بعضًا من شدة الجوع، حين أصاب أهل طبرستان والري جفاف[٣]، وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، أصابت أهل خراسان مجاعة، أودت بحياة كثير من أهلها والوافدين إليها[٤].

وفي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، بلغت المجاعة بأهل فارس مبلغًا عظيمًا: "حتى بيع رطل الخبز بدينار ذهبًا، وأكل الناس الكلاب والخنافس، ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان، وعلى كل من كانوا يرونه سمينًا باديًا، فيقتلونه ويلتقمونه"[٥]، واستمرت المجاعة إلى السنة التالية ٤٠١هـ/١٠١٠م، حيث عُدِم القوت بخراسان، "حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، فكان الإنسان يصيح: الخبزَ الخبزَ، ويموت"[٦]، وفي السنة نفسها، كانت المجاعة بنيسابور ونواحيها حتى هلك كثير من أهلها[٧]، كذلك أصاب أهل أَذْرَبِيجان[٨] مجاعة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، أودت أودت بحياة كثيرين[٩]، وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، كان في خراسان مجاعة وغلاء شديد، "تعذرت فيه الأقوات، ودام سنين"[١٠].

وإذا كانت المجاعات السابق ذكرها ترجع في معظمها لموجات الجفاف والقحط التي ألمت بهذه المنطقة من العالم الإسلامي، فإن هناك نوعًا من المجاعات المصطنعة الناتجة عن استغلال بعض عمال الحكام لنفوذهم، واحتكارهم للقمح والدقيق، مما أدَّى إلى حدوث

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٥٢.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٣٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص ١٠٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٤٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٤٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٨٦.

(٤) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١١٦؛ ابن العماد: شذرات شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٠٠. وفيه أن ذلك كان سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٧٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٦٥.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١٧٧.

(٨) إقليم واسع، حده من برذعة مشرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل، ومن مشهور مدنه تبريز. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ١٢٨.

(٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٧٩–١٨٠.

(١٠) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٢٩.

أزمة في الخبز، مثلما حدث في مدينة غَزْنِين[١] في عهد السلطان إبراهيم بن مسعود (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)[٢]، حين احتكر خبازه كل ما يرد إلى مدينة غزنة من قمح ودقيق، مدعيًا أن ذلك بأمر من السلطان، ولم يجد الخبازون شيئًا من القمح والدقيق، فأغلقوا مخابزهم، فعز الخبز في المدينة، وضج أهلها، خاصةً الفقراء والغرباء، وشكوا ذلك للسلطان إبراهيم، الذي اتخذ إجراءات حاسمة (كما سيبين البحث في موضعه) لمنع حدوث مثل هذه الأزمات المصطنعة مستقبلًا[٣].

٩. الأوبئة[٤]:

اجتاحت بلاد فارس مجموعة من الأوبئة المتنوعة، وقد ارتبط انتشارها – أحيانًا – وترتب على ظهور أخطار وكوارث أخرى، فالوباء الذي أصاب فارس وأعمالها، وطبَّق الأرض سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، كان سببه المجاعة التي اضطرت الناس إلى أكل أطعمة فاسدة لا تصلح للآدميين؛ مما أدى إلى تفشي الأمراض، يقول ابن الجوزي[٥]. في أحداث هذه السنة: "وجاء الخبر من أذربيجان وتلك الأعمال بالوباء العظيم، وأنه لم يُسلم إلا العدد القليل، ووقع الوباء بالأهواز وأعماله، وبواسط، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، وكان الفقراء يشوون الكلاب، وينبشون القبور فيشوون الموتى ويأكلونها". كما تؤدي بعض الكوارث الطبيعية إلى إطلاق عقال كثير من الأمراض، بحيث تتحول بدورها إلى كوارث تضاعف من حدة الكارثة الأصلية، فالفيضانات يصاحبها انتشار حالات الكوليرا، كما أنها تعمل على زيادة حركة الفئران وغيرها من القوارض الناقلة للأمراض، وخروجها من مخابئها التقليدية، كما لوحظ أن حالات الملاريا والتيفود تزداد عقب الزلازل الشديدة[٦].

---

(١) وتُسمَّى أيضًا غَزْنة، وهي مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٠١– ٢٠٢.

(٢) هو السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غزنة، كان ذا عقل ودين، ورأي متين، توفي في التاريخ المذكور أعلاه. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٥٥–٤٥٦.

(٣) نظام الملك: سياسة نامه، ص ٨٢.

(٤) الوباء حسب ما تعرفه منظمة الصحة العالمية، هو تفشي المرض بأسلوبٍ غير متوقع، ويستدعي الاستنفار، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة، خاصةً إذا حدث تهديد بانتشاره في كل أنحاء العالم. محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث، ص١٩٥.

(٥) المنتظم: ج٨، ص ١٧٩–١٨٠.

(٦) محسوب، وأرباب: الأخطار والكوارث، ص١٩٥–١٩٦.

ولما كانت هذه البلاد قد تعرضت لكثير من الزلازل والفيضانات، وانتشرت فيها بعض القوارض والحشرات الناقلة للأمراض؛ فقد أصابتها نتيجة لذلك، ولأسباب أخرى كثير من الأمراض والأوبئة ففي سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م؛ انتشر وباء في عسكر مُكْرَم[١]، وانتقل منها إلى الأهواز وغيرها من البلاد المجاورة، فأهلك بشرًا كثيرًا[٢]، وفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، تفشى الوباء بأذربيجان، وبلغ من كثرة الموتى؛ أن فقد الناس ما يكفنون به موتاهم، ومنْ يتولى دفنهم، فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق[٣]، وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، كان الوباء العظيم بأصبهان[٤]، كما أصاب إقليم خراسان والجبال وباء مماثل سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م، هلك فيه خلق كثير[٥]، وفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م: "وقع وباء عظيم بالري، وكان أبو علي بن محتاج (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)[٦] صاحب خراسان قد نزلها، فمات في الوباء"[٧]. وفي السنة نفسها أصاب أهل أصبهان "في ابتداء المحرم علة مركبة من الدم والصفراء، فشملت الناس، الرجال والنساء، فكان مكثها ما بين يومين إلى سبعة أو عشرة أيام، وربما عمَّ في دار سكانها فوق عشرين، حتى يأتي على عامة منْ فيها، وتعدت إلى سائر كور فارس"[٨]. وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، كان ببلاد الجبل وباء عظيم، مات فيه كثيرون، حتى تعذر على الناس عيادة المرضى، وشهود الجنائز لكثرتها[٩].

---

(١) بلد مشهور من نواحي خوزستان. ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) الأصبهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٧.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٢٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٠٧؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٢٥٠.

(٦) هو أبو علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج، استعمله الأمير السعيد نصر بن أحمد بن بن إسماعيل الساماني (٢٩٣-٣٣١هـ/٩٠٥-٩٤٣م) على خراسان سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م خلفًا لأبيه أبي بكر محمد الذي، كان قد مرض مرضًا مزمنًا. ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١٤٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٢٥٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣١٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٦٦.

(٨) الأصبهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٥٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٣٧٧.

(٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص٢٦٢.

كما انتشر الطاعون في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، فأفنى مئات الآلاف من أهلها[١]، واستمر الوباء في هذه البلاد خلال السنة التالية، يحصد أرواح الناس والحيوان، وأُصِيبتْ مظاهر الحياة بشللٍ شبه تام، وتظهر في أحداث سنة٤٤٩هـ/١٠٥٧م: "في جمادى الآخرة، ورد كتاب من تجار ما وراء النهر، قد وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف زائد عن الحد، حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يومٍ واحد ثمانية عشر ألف جنازة، وأُحصيَّ منْ مات إلى أن كُتب هذا الكتاب؛ فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف، والناس يمرون في هذه البلاد، فلا يرون إلا أسواقًا فارغة، وطرقات خالية، وأبوابًا مغلقة، حتى إن البقر نفقت، وجاء الخبر من أذربيجان وتلك الأعمال بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم إلا العدد القليل، وطويت التجارات وأمور الدنيا"[٢].

وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م، فتك الوباء بالحيوانات، حتى إن راعيًا في بعض طريق خراسان قام عند الصباح إلى غنمه ليسوقها، فوجدها موتى، فتعذر اللحم، وغلت الأسعار[٣]، الأسعار[٣]، وفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، وقع الوباء في طريق فارس وخراسان وخوزستان[٤]. وخوزستان[٤]. وتفشى في بلاد العجم عمومًا، وخراسان خصوصًا سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م مرض الصفراء والوباء الذي فتك بكثير من أهلها: "وأقفرت من السكان قرى كثيرة. وكان إذا وقف الشخص هنيهة، أخذته القشعريرة، فسقط ميتًا، ولم يمهل الداء فتكه بكائن منْ كان أكثر من ستة أيام"[٥]، ثم أصاب الأطفال مرض الجدري، وأعقب ذلك موت الوحوش في البرية، وتلاه موت الدواب والمواشي، ثم أصاب الناس بعد ذلك الأورام وأمراض الطحال وغيرها[٦]. وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، لحق الناس بفارس وباءٍ جارف، فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم[٧].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٧١؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٠٠.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٧٩–١٨٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٩٠.

(٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٩١.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ١٤–١٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٤.

وفي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، استولى القائد الديلمي فولاذ – صاحب قلعة إصطخر– على مدينة شيراز من البويهيين، فسارت إليها القوات البويهية بقيادة اثنين من أبناء البيت البويهي، هما أبو منصور وأبو سعد شقيقا الملك الرحيم (٤٤٠–٤٤٧هـ/١٠٤٨–١٠٥٥م)، وحاصرتها "وطال الحصار إلى أن عُدم القوت بها، وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار، ومات أهلها جوعًا"[١].

وإذا ما نظرنا إلى المدن التي تساقطت أبنيتها نتيجة للزلازل أو الفيضانات؛ نجد أنها في الأعم الأغلب مبنية من الطين، أو الطين والخشب، أو أنها مبينة فوق رواسب طينية فيضية، أو فوق رواسب سبخات ملحية؛ مما يجعلها أقل تماسكًا، فحين زلزلت مدينة بلخ ضمن ما زلزل من بلاد خراسان سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م، تهدمت دورها[٢]؛ لأن سورها وأبنيتها من طين[٣]، وكذلك مدينة الأنبار؛ كانت أبنيتها من الطين[٤]، ومن ثم فإنها حين اجتاحها فيضان سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م، تهدمت جميع أبنيتها[٥]، وحين زلزلت مدينة هراة سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، سقطت مبانيها وتهدمت دورها[٦]؛ لأن بناءها من طين[٧].

وأما المدن التي كانت مبانيها حجرية أو جبسية، فإن ذلك كان يخفف من شدة تأثرها بالزلازل والفيضانات، فبلدة بوشَنْج[٨] القريبة من هراة، لم تذكر المصادر أنها تأثرت بالزلازل، بالزلازل، مثل هراة بسبب نوعية مبانيها، يقول ابن حوقل: "وأما بوشنج ... بناؤهم من جبس، وليس كبناء هراة"[٩].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٩٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٥١.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٣.

(٤) ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٠١.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٨٠.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٦. وهكذا نجد أن معظم المدن التي تهدمت مبانيها نتيجة للفيضانات أو الهزات الأرضية والزلازل، كانت مبانيها من طين، أو أنها أقيمت في تربة سبخات ملحية هشة، مثل نيسابور ومرو وسرخس وسمرقند وجرجان وغيرها من المدن. انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٢٤ ،٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٢، ٤٠٧.

(٨) بلدة صغيرة في واد مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٥٠٨.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٨.

وقد تركت هذه الأخطار والكوارث آثارًا سلبية على شتى مناحي الحياة، فبالإضافة إلى الخسائر البشرية الفادحة، أسفرت هذه الأخطار والكوارث عن مشاكل اجتماعية وبيئية لا حصر لها، مثل وجود أعداد من الأرامل والأيتام لا عائل لهم، وتهديد الأمن الغذائي للمجتمعات في هذه المنطقة، وما ترتب عليه من غلاء للأسعار؛ مما جعل الحصول على ضروريات الحياة من طعام وشراب فوق طاقة السكان؛ ومما زاد الطين بلة ضياع أموال الناس ومقتنياتهم جراء هذه الأخطار والكوارث التي أصابتهم، فَتَدَنَّى مستوى المعيشة لدى كثيرين منهم، حتى اُضطر بعضهم لنزع سقف بيته ليبيعه ويعيش من ثمنه، وتراكمت الديون على كثير منهم، ونظرًا لذلك بدأت تظهر بعض الظواهر السلبية في المجتمع كاللصوصية.

ونتيجة لما سبق؛ بدأت تظهر بعض الظواهر السلبية في المجتمع، مثل ظاهرة اللصوصية، حيث اضطر بعض المنكوبين إلى السرقة لسد حاجتهم من المطعم والملبس والكساء والغطاء، وغير ذلك من متطلبات الحياة، حتى إنهم لم يراعوا حرمة الأموات، ففي سنة ٤٤٩ هـ /١٠٥٧م، حين عم الغلاء خراسان وفارس[١]، وانتشرت الأوبئة في بلاد ما وراء النهر، دخل لص ليسرق لحافًا من على ميت، فمات اللص، وطرف اللحاف في يده[٢].
يده[٢].

كذلك تأثر مستوى معيشة السكان بتلك الأخطار والكوارث تأثرًا سلبيًا، فبالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي أصابتهم نتيجة تلف مزارعهم وحقولهم وموت دوابهم ومواشيهم؛ فقدوا خلال هذه الأخطار والكوارث كثيرًا من أموالهم ومقتنياتهم، ففي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، ضربت الزلازل مدينة سيراف، فهدمت المنازل، وأتت على ما فيها من الأموال[٣]، وحين زُلزلت الدينور سنة ٣٧٨هـ /٩٨٨م، تهدمت المنازل، وضاع تحت أنقاضها من أموال الناس ما لا يُعد، ولا يُحصى[٤]، وحين ضربتها الزلازل مرة أخرى سنة ٣٩٨هـ /١٠٠٧م، وهُدمت منازلها منازلها "ذهب من الأثاث والمتاع فيما تهدم ما لا يحصى"[٥]، بل إن الجراد الذي انتشر في شيراز سنة ٣٩٣هـ /١٠٠٢م، أتى على ملابس الناس التي كانوا قد أودعوها لدى الحاكة،

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٨٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢١٨.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٣٨.

وكأنه أبى إلا أن يجردهم مما يستر أبدانهم؛ ليزيد من معاناتهم، يقول ابن العبري[١] في أحداث هذه السنة: "ظهر جراد كثير ... ولاسيما في شيراز ... وعاث بأقمشة القصارين[٢] حتى أمست رقعًا رقعًا، وأعادوها إلى أصحابها". وقد بلغ من تدني مستوى المعيشة والفقر الذي عانى منه السكان من جراء تلك الأخطار وهذه الكوارث؛ أن بعضهم أخذ ينزع سقف بيته ليبيعه، ويعيش من ثمنه[٣]، بل إن الديون تراكمت على المنكوبين الذين فقدوا دوابهم وحصاد أراضيهم نتيجة هذه الأخطار والكوارث[٤].

وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، بلغ الغلاء مداه في خراسان وفارس، حتى "بلغت كارة[٥] الخشكار، أي النخالة عشرة دنانير، ومات من الجوع خلق كثير"[٦]، وفي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، غلت الأسعار في خراسان بسبب تفشى الموت في الحيوانات، حتى فقد الناس اللحوم[٧]، وفي سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م "كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات ... وكان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها"[٨].

لم تكن الثروة الحيوانية أحسن حالًا من الثروة الزراعية، حيث كان لها حظها من الأضرار التي أصابتها جراء الأخطار والكوارث، ففي سنة ٢٣٤هـ /٨٤٨م عصفت ريح

---

(١) تاريخ الزمان، ص ٧٥.

(٢) ينسب لهذه المهنة، فيقال القصّار أو القصارى، جاء في كتاب «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي أن القصارى نسبة «إلى قصر الثياب كالقصار، وإلى سكة القصارين بمرو». السيوطي، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج٢: ص ١٨٢. وتعتبر مهنة القِصارة من المهن الشاقة التي عرفت منذ القدم بطبيعتها الشاقة، وقد صور لنا الشاعر أبو الحسين الجزار (توفي العام ١٢٧٣م) مدى العناء الذي يعانيه القصار، وذلك في قوله (النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٩٢).

(٣) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٦٠.

(٤) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٢٧–١٢٨.

(٥) جاء في لسان العرب (ج ٥، ص ١٥٥) أن الكارة هي الحالُ الذي يحمله الرجل على ظهره، وفي (ج ١٣ ص٢٤٠) في مادة (شغن) يقول: الشُّغْنَة هي الحال، وهي التي يسميها الناس الكارة، ومن هذين القولين؛ يتضح أن الكارة حمل معين تعارف عليه الناس في الفترة موضوع البحث.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨ ص ٢٧٣.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٩ ص ٢٤.

سموم شديدة بهمذان أهلكت كثيرًا من دواب الناس ومواشيهم[١]، وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م، أصابت صاعقة بلاد فارس، فقتلت كثيرًا من البهائم[٢]، وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م، ضربت السيول بلدة جُبّى من أعمال خوزستان، فأغرقت المواشي[٣].

وكان من الطبيعي أن تتأثر التجارة كغيرها من جوانب الحركة الاقتصادية بما أصاب البلاد من أخطار وكوارث ومصائب ونكبات، حيث فقد الناس رؤوس أموالهم التي هي عصب التجارة نتيجة لذلك، فالزلزلة التي ضربت سيراف سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وهدمت منازلها "أتت على ما فيها من الأموال"[٤]، كما أن كثيرًا من أصحاب الأموال والتجار قضوا نحبهم في هذه الأخطار والكوارث، وبقيت أموالهم لا تجد من يتاجر بها، ففي سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م، حصد الوباء أرواح آلاف من أهل بخارى وسمرقند وغيرهما من بلاد ما وراء النهر، "فبقيت أموال الناس سائبة"[٥]، وقد أثَّر ذلك على النشاط التجاري كغيره من مظاهر الحياة في هذه البلاد، "وبقيت الأسواق فارغة والبيوت خالية"[٦]، وقد عبر ابن الجوزي[٧] عن عن حالة الكساد هذه قالًا: "والناس يمرون في هذه البلاد، فلا يرون إلا أسواقًا فارغة، وطويت التجارات وأمور الدنيا".

كما لا يخفى أن ما أصاب الزراعة والثروة الحيوانية من أضرار، وما صاحب ذلك من غلاء للأسعار[٨] لابد أن يؤثر سلبًا على حركة التجارة، هذا بالإضافة إلى أن انقطاع الطرق[٩]، وافتقاد بعض وسائل النقل والمواصلات التي يعتمد عليها التجار في حمل تجاراتهم، وجلبها من الداخل أو الخارج، كان له تأثيره السلبي أيضًا على حركة التجارة، فبالإضافة إلى هلاك كثير من الدواب نتيجة الأخطار والكوارث – كما سبق أن بيَّن البحث – فإن وسائل المواصلات البحرية التي يعتمد عليها في نقل البضائع والتجارات بين البلدان

---

(١) الأصفهاني: سني ملوك الأرض، ص ١٤٥-١٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦٥٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٨٧.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٧) المنتظم: ج ٨، ص ١٧٩-١٨٠.

(٨) راجع ص ٢٥٦ من هذا البحث.

(٩) راجع ص ٢٤٢ من هذا البحث.

تضررت هي الأخرى بهذه الأخطار والكوارث، فحين زُلزِلت سيراف سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، "غرقت فيها عدة مراكب"[١]، وفي السنة نفسها، هبت ريح عاصفة "أغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس"[٢]، وكانت هذه الرياح والأعاصير كثيرًا ما تؤثر على حركة الملاحة، وتضر بالسفن بسبب هيجان البحر؛ مما دفع أصحابها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها أثناء هيجان البحر.

الخاتمة

تسببت الكوارث الطبيعية كالزلازل والجفاف وانتشار الأمراض في بلاد فارس خلال فترة الدراسة في عمل أزمات اقتصادية طاحنة، الأمر الذي أدى بدوره إلى تدهور أحوال التجارة. وكان من الطبيعي أن تتأثر التجارة كغيرها من جوانب الحركة الاقتصادية بما أصاب البلاد من أخطار وكوارث ومصائب ونكبات، حيث فقد الناس رؤوس أموالهم التي هي عصب التجارة نتيجة لذلك. ويمكن استخلاص بعض النتائج المهمة من خلال دراستنا لهذا الموضوع، على النحو الآتي:

١. تركت هذه الأخطار والعوامل آثارًا ونتائج سيئة في مختلف نواحي الحياة، خاصةً الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعسكرية.
٢. كان من الطبيعي أن يتخذ بعض الولاة والسلاطين الذين تولوا أمور الحكم في بلاد فارس خلال فترة الدراسة بعض الإجراءات لمواجهة هذه الأخطار والعوامل، وما نتج عنها من آثار، وإن كان الجهد المبذول في هذا المضمار لم يتناسب مع حجم هذه الكوارث؛ مما أدَّى إلى ازدياد الخسائر الناجمة عنها.
٣. كما لا يخفى أن ما أصاب الزراعة والثروة الحيوانية من أضرار، وما صاحب ذلك من غلاء للأسعار لابد أن يؤثر سلبًا على حركة التجارة.
٤. كان انقطاع الطرق، وافتقاد بعض وسائل النقل والمواصلات التي يعتمد عليها التجار في حمل تجاراتهم وجلبها من الداخل أو الخارج، له تأثيره السلبي أيضًا على حركة التجارة، فبالإضافة إلى هلاك كثير من الدواب نتيجة الأخطار والكوارث.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٣٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٧٦.

٥. بدأت تظهر بعض الظواهر السلبية في المجتمعن مثل ظاهرة اللصوصية، حيث اضطر بعض المنكوبين إلى السرقة لسد حاجتهم من المطعم والملبس والكساء والغطاء، وغير ذلك من متطلبات الحياة حتى إنهم لم يراعوا حرمة الأموات.

٦. تأثر مستوى معيشة السكان بتلك الأخطار والكوارث تأثرًا سلبيًا، فبالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي أصابتهم نتيجة تلف مزارعهم وحقولهم، وموت دوابهم ومواشيهم؛ فقدوا خلال هذه الأخطار والكوارث كثيرًا من أموالهم.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق/ أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢. ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٣. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٩.

٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥. الطبري (محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الطبري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦. الاصطخري: أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م): مسالك الممالك، تحقيق/ محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة [سلسلة الذخائر العدد ١١٩] ٢٠٠٤م.

٧. الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

٨. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.
- البلدان، ادار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩. ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م.

١١. الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٢. ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٣. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٤. مسكويه (أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

١٥. المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق/ غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

١٦. ناصر خسرو: سفرنامه، تحقيق/ يحيى الخشاب، ط٣، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

ثانيا: المراجع

١. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٢. الزركلي (خير الدين): الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٣. سليمان (أحمد السعيد سليمان): تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤. محمد حسن العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، ودار الكندي للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ١٩٩٧م.

٥. كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة/ بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بدون تاريخ.

٦. علي بن صالح المحيميد: دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧. محسوب (محمد صبري)، أرباب (محمد إبراهيم): الأخطار والكوارث الطبيعية، معالجة جغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.